Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يكتب عن قاع المدينة الاجتماعي، مركزا "على حيوات الهامشيين والمُهمَشين في الحياة، ولم يتورّع حتى عن الكتابة عن المجانين في مشافيهم- (انظر عنوان "المنسيون" في رواية، الشطّار) وقد عُني عناية مفرطة بالنزعة الشبقية البدائية عازفاً عن الروادع والزواجر، مخلياً فسحة الحديث عن الروح، لصالح فسحة الحديث عن الجسد.. ولكن فعله هذا لم يكن من أجل الإثارة والإغراء، فالجنس الذي يكتبه جنس بائس ومقزّز، وهو موظّف فنيّا، فالمرأة التي تحيط بها خلفيات محدّدة تنزلق بسهولة إلى مسلك الدعارة وبيع الجسد، وقد سحّ فهم الناقد (صبري حافظ) لهذه الظاهرة في الرواية عندما عدّ "الصراحة والمباشرة هي وسيلة النص للتخلّص من كل إثارة أو شبهة للإثارة"- (انظر دراسة صبري حافظ: البنية الفنيّة لسيرة التحرّر من القهر، في آخر رواية الشطار، ص٢٢٦) .

والرواية تنتمي إلى الحداثة، من زاوية أخرى، لأنها مثّلت تحدّيا "للسلطة الأبوية، ومحاولة للإجهاز على السلطان الغاشم، حتى وإن كان للأب. ونحن نرى أن الأب، في هذه الرواية، بالإضافة إلى كونه أباً من لحم ودم، كان رمزا للظرف القاهر الذي حاق بالطفل، وتجسيداً لأنياب الزمن الذي راح يعذّب روح الطفل ويعتصرها ويذيبها، فيجعلها تتقزم وتتضاءل وتلتصق بالجسد، وتنحلّ فيه انحلالاً. إنّ لقمة العيش مثّلتْ هدفاً جوهرياً في حياة الراوي، وأية لقمة؟ إنها "الخبز الحافي" المجرّد من أي أدام، أو نكهة، أو حلاوة، وعنوانا الروايتين: الخبز الحافي، والشطار، دالان دلالةً كافية على المحتوى، وعلى الهاجس وعلى رؤى الكاتب معاً.

ومن الظواهر الحداثية في الرواية المغربية المعاصرة تثوير اللغة وتعددينها وتنويعها، وهذا ما يلاحظه المرء بجلاء في عمل (محمد شكري) هذا، فهو وإنْ كتبه بالعربية الفصحى نجده يوشّيه باللغة الشعبية، واللهجة العامية المغربية، ويكسّر سياق الفصحى بعبارات ريفيّة مغربية، وبألفاظ من عامية المغرب، لا يفهمها أهل المشرق، مما حمل الكاتب على شرح بعض المفردات الغريبة في هوامش صفحاته، ومن أمثلة تلك المفردات: الشقف، وهو شيء شبه الكشتبان. والمطوي، وهو محفظة الكيف، والكيف هو التبغ. والسّبْي، وهو الغليون في عربية بلاد الشام (الشطار ١٤)، ومن غريب مفردات "الخبز الحافي" (أراحد) وتعني تعال و(أذاي ينغ) وتعني (سيقتلني)، و(أمش) وتعني: (مثلما)، و(ينغا) وتعني (قتلَ) و(أوما اينو) وتعني أخي. وهو في هذه الكلمات كان يخاطب أمه التي دعته للعودة إلى البيت بعد أن قتل أبوه أخاه (الخبز الحافي ص١٢و ١٣).